الثورة الجزائرية من منظور الصحافة الفرنسية
قراءة تحليلية لكتاب
" L’humanité censuré"

أ. نوال رضا
جامعة العربي بن مهيدي- ام البواقي-

على سبيل التقديم :

يضم كتاب " L’Humanité censuré. 1954-1962, un quotidien dans la guerre d’Algérie " الصادر في السادس سبتمبر من العام 2012م لمؤلفيه ،الصحفية الفرنسية ذات الأصول الجزائرية "روزا موساوي" Rosa Moussaoui بمعية المؤرخ "آلان روسيو" Alain Ruscio المتخصص في الحركات التحررية، ،مقالات صحيفة "لومانيتي" الشهيرة، كتبها محرروها ومراسلوها كتغطيات ميدانية أو تعليقات نقدية على أحداث و تطورات سياسية مست واقع الكفاح الجزائري بين 1954 و1962، ولكنها لم تصدر أبدا بسبب التدخل القوي والمباشر للسلطات الفرنسية لحجب كل ما لا يخدم سمعتها كدولة ديمقراطية تنتهك حقوق الإنسان بلا ضوابط في الجزائر.

حيث يأتي الإصدار الذي يشمل ثلاثة وعشرون من مقالات صحيفة لومانيتي الفرنسية الممنوعة من النشر على صفحاتها آنذاك من قبل الحكومة الفرنسية إبان حرب التحرير الجزائرية. ليمثل من خلال صفحاته المائتين وتسعون ، إضاءة جديدة عن تاريخ الثورة الجزائرية المكتوب صحفيا، الذي لم ير النور منذ نصف قرن، بسبب مقص الرقابة الفرنسية الاستعمارية من جهة ، والتفاتة طيبة بمناسبة الذكرى الخمسين لنهاية حرب الجزائر، بنشر مقالات صحفييها الذين نقلوا في تلك المرحلة، مشاهد القتل والنفاق الاستعماري، على حساب الجزائريين العزل.

ويستعرض الكتاب، الصادر عن منشورات " Le Cherche Midi" ، موضوع الالتزام بالإنسانية ضد الحرب الاستعمارية في الجزائر، وماكان يميزه من الدعاوى القضائية، والرقابة القمعية والاستيلاء على الحكومات المتعاقبة لمدة ثماني سنوات، ومن ضمنها ما نشر عن تقارير المبعوث الخاص بالإنسانية في الجزائر" ماري بيرو" بحلول الفاتح من نوفمبر 1954، من الاحتلال، واستخدام النابالم والتعذيب التي نشرت في ربيع من عام 1955. مبرزا دواعي قانون الثالث من أفريل من سنة 1955 الذي أسس لحالة الطوارئ لضمان السيطرة على الصحافة والمطبوعات بكافة أنواعها وكذلك البرامج الإذاعية والأفلام و العروض المسرحية.

الجدير بالذكر ، أن جريدة "لومانيتي" الفرنسية الصادرة العام 1904 من طرف الإشتراكي "جون جوراس Jean Jauress ، تعرضت إلى مصادرة

أعدادها 27 مرة، وواجهت 150 متابعة قضائية وتكالب لا نهاية له استهدف الصحفيين ومنعهم من نقل الحقيقة، عما كان يسمى من قبل الحكومة بـ "الأحداث الجزائرية". بسبب تطرقها الصريح إلى الممارسات الاستعمارية في حق الجزائريين والمهاجرين، بتهمة "جريمة الحق المبكر جدا" وقال روني آندريو، رئيس تحرير الصحيفة في ذلك الوقت إنه قد تم جر الجريدة إلى المحكمة 313 مرة، وأنها قد دفعت 53 مليار فرنك ذلك الحين.

ما سبق، تسعى هذه الورقة البحثية إلى تقديم قراءة تحليلية -لعينة الدراسة لمختارة- في سياق تسليط الضوء على الكتابات التاريخية التي تناولت موضوع الثورة الجزائرية من منظور إعلامي ، ونظرا لخصوصية مادة الكتاب المذكورة آنفا، التي تعد أرشيفا وثائقيا لأحداث الثورة التحريرية وعليه نتساءل عن:

كيف تناولت صحيفة لومانيتي الفرنسية أحداث الثورة الجزائرية من خلال كتاب لومانيتي سونسوري ؟

ويتفرع عن التساؤل الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية :

1. ما هي إسهامات الكتابة الصحفية عبر صحيفة" لومانيتي " في التأريخ لمرحلة الثورة التحريرية الجزائرية؟

2. ما هو معدل المقالات الصحفية عبر جريدة" لومانيتي" المؤرخة لأحداث الثورة الجزائرية؟

3. ما نوعية المقالات الصحفية التي عكست أحداث الثورة الجزائرية عبر الكتاب عينة التحليل؟

4. ماهو التوجه الفكري الذي تناولت به جريدة "لومانيتي" موضوع الثورة الجزائرية ؟

5. ما هي مستويات التغطية جريدة لومانيتي لأحداث الثورة الجزائرية؟

الخصائص التقنية للكتاب:

عنوان الكتاب:

L'Humanité censuré. 1954-1962 , un quotidien dan la guerre d'Algérie

بلد النشر : فرنسا.

المؤلف : **Rosa Moussaoui & Alain Ruscio.**

دار النشر: . **Le Cherche-Midi**

تاريخ النشر: سبتمبر 2012م.

عدد صفحات الكتاب:290 صفحة.

لغة النشر : اللغة الفرنسية.

سعر الكتاب : 18أورو.

نتائج التحليل :

أولا، إسهامات صحيفة "لومانيتي" في التأريخ لأحداث الثورة الجزائرية :

يعكس الكتاب -عينة التحليل -، السياق التاريخي الذي تزامن ظهور المقالات الصحفية المحذوفة والممنوعة عن النشر بجريدة لومانيتي الفرنسية ، حيث وفي خضم أحداث ثورة التحرير الجزائرية ، برزت ثورة موازية لها اصطلح علها آنذاك ب **"la bataille de l'écrit "** ، كانت الكلمة فيها هي السلاح الذي استخدمته بعض الصحف للرد على وضعيات الغضب والرفض المطلق للسياسات التعسفية الممارسة آنذاك من طرف السلطات

الفرنسية والخارقة لحقوق الإنسان المنصوص عليها عبرالتشريعات الغربية، وفي مقدمتها التشريع الفرنسي. فالسلطات فضلت تحييد كل الصراعات واختيار لغة الصمت بديلا لحرية التعبير في ظل تازم الأوضاع السائدة آنذاك على غرار الأحداث الثورية الجزائرية .

سيما وقد شكل قانون الثالث أفريل من العام 1955 كحالة طوارئ استلزمت تطبيق مقص الرقابة على كل الكتابات الصحفية الموجهة للنشر عبر الصحف الإخبارية الفرنسية ، ليكون القرار بمثابة افعلان الرسمي عن الحياد عن مبادئ الديموقراطية في ظل السياسات الكولونيالية المطبقة في الفترة المذكورة .

فبالرغم من نشاط مقص الرقابة ، خلال الفترة المذكورة والتي جسدتها هيئة رسمية للرقابة اضطلعت بمهمة رقابة المواد الإعلامية الإذاعية والمكتوبة الموجهة للنشر ، وتقديم قرار الموافقة على كل مايبث وخاصة ماينشر ، لتشكل هذه الهيئة الرقابية ضربة حقيقة بالنسبة لليوميات الإخبارية الفرنسية ومنها يومية لومانيتي او الإنسانية إذا ما ترجمنا اللفظ إلى العربية .

وبالرغم من التضييق الذي مارسته السلطات الفرنسية آنذاك إلا ان مقص الرقابة لم يقف عائقا امام اهداف جريدة لومانيتي التي ساندت من خلال خطها الافتتاحي قضايا التحرر العادلة ونشر الحقائق دون تشويهها ومن ذلك احداث الثورة الجزائرية والممارسات التعسفية للسلطات الفرنسية بحق الشعب الجزائري والتي تتنافى وكل النصوص التشريعية والحقوقية التي تدعم مبادئ الإنسانية. حيث وخلال الحرب التحريرية الجزائرية تعرضت جريدة لومانيتي إلى عملية المصادرة 27 مرة ترتب عنها متابعتها قضائيا في 150 قضية تعلقت 49 منها التحريض ضد السلطات و24 بتهمة ضد السلطات و 14 قضية بتهمة المساس بأمن الدولة.

ثانيا : 23 مقالا صحفيا منع نشره بجريدة لومانيتي يؤرخ لأحداث الثورة الجزائرية :

يضم كتاب لومانيتي سونسوري ، 23 مقالا صحفيا تناول احداث الثورة الجزائرية خلال الفترة الممتدة من 1954-1962م ، منع نشره من طرف الهيئة الفرنسية المعينة آنذاك لمراقبة منشورات الصحف واليومية الاشتراكية خاصة ، ويجسد إعادة نشر لهذه المقالات التي وردت عبر صفحات جريدة لومانيتي على شكل مساحات بيضاء كلية تنوعت مساحتها لتصل إلى مساحة الصفحة الكاملة في بعض المرات . وقد اتبعت جريدة لومانتي طريقة العمدة والمساحات البيضاء للدلالة على نشاط الرقابة الممارس بحق موادها الصحفية .وفي هذا الصدد تقول روزا موساوي عبر كتاب لومانيتي سونسوري :

Le recours aux 'blancs', fut donc tout à la fois, un moyen d'éviter les saisies, financièrement coûteuses, et une façon de matérialiser le bâillon, de rendre la censure plus 'visible' aux yeux des lecteurs et de l'opinion publique" (Rosa Moussaoui, p.282).

ثالثا، ربورتاج أحداث الثورة بمنطقة قسنطينة من أبرز مامنع نشره بلومانيتي العام 1955 :

يشير الكتاب عينة التحليل ،إلى أن اول عملية مصادرة تعرضت لها جريدة لومانيتي ،كانت نتيجة نشرها لربورتاج عن منطقة قسنطينة ، مرفوقا بصورة فوتوغرافية عن التعذيب الذي طال سكان فيليب

فيل وذلك بتاريخ 24اوث 1955م وكان المقال للصحفي روبرت لمبوت Robert Lambotte.

"en Algérie, les hameaux rasés par l'artillerie étaient encore habités", accompagné d'une photographie du massacre de Philippeville (page 15).

وبعد مرور سنة وتحديدا بتاريخ 11ماي 1956 تعرض ربورتاج الصحفي روبرت لمبوت للحذف وهذا مقتطف منه:

la « pacification »

Quel est le véritable caractère de ce qu'on présente à Paris comme une « oeuvre nécessaire de pacification » ? La lecture de la presse locale suffirait au moins averti pour découvrir son vrai visage.

Dimanche 23 avril, à 10 heures du matin, une vaste opération aérienne a été déclenchée dans le secteur de Tlemcen ; des mechtas - ou villages algériens - ont été écrasées sous les bombes. Toute une région a été mitraillée par une escadrille. Près de Nemours [1], la même semaine, d'autres villages ont été rasés. On a dit qu'il s'agissait de « refuges de rebelles ». Mais la presse colonialiste prend moins de précautions et c'est ainsi qu'on écrit que les villages situés près de Palestro [2] ont été bombardés parce que « suspects ». Un journal du soir d'Alger se contente même de dire qu'ils étaient considérés comme « douteux ». À ce titre, il n'y a pas en Algérie un village qui ne puisse être l'objet d'un raid aérien...

La « pacification » doit, paraît-il, être poursuivie pour permettre des élections ? Mais quel genre de paix règne aujourd'hui dans ces villages « pacifiés » par l'aviation de bombardement ? Va-t-on installer des urnes parmi les ruines ? Il resterait encore, hélas !, à trouver des électeurs ; et s'est-on demandé pour qui voteraient ces quelques survivants ?

Robert Lambotte

إلى جانب الريبورتاجات كمادة صحفية استهدفت السلطات الفرنسية منع نشرها ، ياتي نشاط الهيئة المنصبة للقيام بالمهمة وتوجهها نحو الشهادات المنقولة عبر صفحات جريدة لومانيتي وفي مقدمتها شهادة فرناند ايفتون Fernand Iveton عبر جريدة لومانيتي بتاريخ 26فيفري 1957م وفيما يلي نصها:

Fernand Iveton, militant du PCA, de la CGT et du FLN, a été guillotiné – pour l'exemple – le 11 février 1957 à Alger. Son crime ? Avoir posé une bombe le 14 novembre 1956 pour saboter l'usine à gaz d'Alger ; l'engin avait été programmé pour exploser à 19h30, c'est-à-dire à un moment où les lieux seraient déserts. Iveton fut repéré le jour-même et son engin désamorcé. Condamné à mort par le Tribunal militaire d'Alger à l'issue d'une seule journée d'au-

environ)

وفي 02 من سبتمبر العام 1961 حذفت شهادة جيردى لومانيتي حول إرهاب المنظمة السرية وفيايلي النص المحذوف:

La chasse aux Algériens continue à Oran. Un commando de l'OAS attaque un passant et le frappe à coups de couteau.

Oran, 1er septembre.

La « chasse » continue à Oran. Les commandos de l'OAS, qui circulent librement en ville, ce matin encore, s'attaquent à trente ou quarante passants algériens qu'ils rencontrent.

À coups de gourdin, à coups de barre de fer, l'Algérien est assommé et c'est mourant qu'on l'emmène à l'hôpital une demi-heure après... quand la police arrive. Le commando de tueurs court déjà après une nouvelle victime. On a compté ainsi plusieurs blessés graves dans la soirée d'hier. De nombreux Oranais désavouent ce qui se passe actuellement dans leur ville, mais eux aussi doivent se taire quand les voyous de l'OAS sont maîtres de la rue, car ils sont frappés de la même manière et ne doivent pas attendre la protection des CRS. On a parlé de renforts, on a dit que l'armée était intervenue. Mais, depuis trois jours, les ultras font ce qu'ils veulent.

Cet après-midi encore, un passant algérien, sa grâce sera refusée. Son témoignage sur la journée de son arrestation a été censuré dans L'Humanité du 26 février 1957 :

Avant la guillotine

J'ai été arrêté le 14 novembre 1956, vers 16 heures. Je fus conduit dans les locaux de la police, boulevard Baudin, à Alger. Là, je fus déshabillé. On me banda les yeux, et les tortures les plus atroces commencèrent immédiatement. On me fit passer sur tout le corps, le cou, les parties, le courant électrique. On me posa une question au sujet d'une deuxième bombe, à laquelle j'étais incapable de répondre. Les tortures continuèrent, accompagnées de la menace d'un revolver dont je sentais le canon sur mon corps. J'étais entièrement brûlé. On me fit alors subir le supplice de l'eau. Toujours nu, on m'enveloppa le corps d'une couverture humide. Couché sur un banc et ficelé très fortement, la tête pendant à l'extrémité du banc, un chiffon en fil genre gaze sur la bouche et le nez, on m'apporta sous un robinet d'eau. Le chiffon se collait sous le nez, m'empêchant de respirer et je fus obligé de boire jusqu'à étouffement complet. Mes tortionnaires s'assirent alors sur mon ventre en faisant pression et l'eau me sortait de partout par le nez. Les tempes me firent mal à éclater. Et cela a duré de 16h20 à 19h 15

rien a été frappé de plusieurs coups de couteau par une bande d'une dizaine d'ultras. Hier, des unités du 2e zouave ont occupé quelques rues au moment où plusieurs centaines de personnes manifestaient aux cris de « Algérie française ». Mais on sait bien, dans les services officiels, que ce régiment cantonné à Oran et dont le tiers au moins est composé d'Oranais, n'est pas prêt à mettre à la raison les commandos de « chasse » qui circulent encore en ville à la recherche de nouvelles victimes.

Les Algériens ont du reste déserté la ville nouvelle habitée par une population d'origine européenne. Ils ont abandonné leurs magasins saccagés et pillés et restent cloîtrés dans leurs quartiers où la colère monte.

مقالات الصحفية المقاومة مادلين ريفود على شاكلة الصحافي المقاوم Madeleine Riffaud روبرت لمبوت ، والتي استطاعت ان تعرض السياسة التعذيبية التي مورست من طرف السلطات الفرنسية بحق المهاجرين الجزائريين la بمدينة باريس وخاصة بمراكز الشرطة المسماة بتاريخ 07مارس 1961م ، من، Goutte-d'Or خلال مؤلفها وكذلك مقالها عبر جريدة لومانيتي الذي تعرض للرقابة والحذف وجاء على صفحة كاملة بيضاء كتب في وسطها كلمة محذوفة « Censuré«.

وبشان العقوبات التي تبعت نشاط مقص الرقابة نورد المقتطف التالي :

Les procès représentent une autre arme dans l'arsenal de la censure. Pour avoir écrit dans L'Humanité du 25 mai 1957 un article protestant contre la condamnation d'Alban Liechti, militant communiste et insoumis, Étienne Fajon, directeur, est traduit devant la 17è chambre correctionnelle. Une nouvelle fois, le journal reçoit une forte amende et se trouve financièrement pénalisé. René Andrieu, rédacteur en chef de L'Humanité dresse le bilan à la fin de la guerre : 313 procès et 53 milliards d'anciens francs d'amendes avaient frappé l'ensemble des titres de la presse communiste (p.278).

رابعا، التوجه الفكري الذي تناولت به جريدة "لومانيتي" موضوع الثورة الجزائرية :

بالرغم من التوجهات الفكرية للحزب الإشتراكي حول المسائل الكولونيالية ، يبرز الكتاب من خلال مادته الصحفية التوجه الصريح نحو معارضة موضوعات الاحتلال، التعذيب ... صريحا ومحددا .

فمن خلال الطاقم الصحفي الذي تميزت به جريدة لومانيتي الفرنسية ، جاء الحرص على تغطية إرهاصات أحداث الثورة الجزائرية ، في الوقت الذي كان الحديث عن الثورة سابق لأوانه .

فغذاة اندلاع ثورة التحرير الجزائرية وبتاريخ الثالث نوفمبر 1954م ورد نص المسير ليو فايكس Léon Feix يالذي يساند من خلال حركات التحرر والحق الشرعي للشعوب في الحرية ، حيث جاء التصريح واضحا ليخص الشعوب المغاربية

المطهدة آنذاك من طرف الاحتلال الفرنسي منها الشعب الجزائري ونورد المقتطف التالي بخصوصه :

: "La seule solution – nous ne cessons de le répéter -, c'est de faire droit aux légitimes revendications à la liberté des peuples tunisien, marocain, algérien" (page 12)

خامسا، مستويات التغطية جريدة لومانيتي لأحداث الثورة الجزائرية :

بالنظر إلى تاريخ مسيرة صحيفة لومانيتي خلال الفترة الممتدة من 1962-1954م ومن خلال نشرها للمقالات الممنوعة حول أحداث الثورة الجزائرية فالمؤلف استطاع أن يعيد حياكة أحداثها . فمن خلال إعادة انتاج المساحات البيضاء المنشورة عبر صفحات جريدة لومانيتي وفق امانة علمية تصور مستوى احترام الجريدة بصحفييها وفي مقدمتهم صاحبة المؤلف حق الشعب الجزائري في معرفة ما جرى من أحداث زمن ثورة التحرير.

فعملية الحذف التي مورست بحق المقالات الصحافية التي حملت حقائق الثورة الجزائرية وانتفاضة الشعب الجزائري ، وإعادة نشرها من طرف الصحيفة الفرنسية يؤرخ بشكل من الأشكال لصفحات السواد لتاريخ حرية التعبير والصحافة Pierre بفرنسا. ويؤكد مقولة الصحفي بيار دوروند بانه لابد لجدار الصمت ان يسقط يوما Durand **"Mais les murs de la censure finissent toujours par tomber".**

لتضاف هذه النقطة السوداء إلى ما سبقها من سواد عندما تعرضت الجريدة للمصادرة للمرة الثامنة بتاريخ 30جويلية 1957م بعد نشر رسالة هنري علاق الذي سجن وعذب بالأبيار.

على سبيل الخاتمة :

لأن عملية التوثيق لأحداث الثورة الجزائرية مهمة نبيلة ومطمح راق ، يرتقي كتاب **L'Humanité censuré. 1954-1962, un quotidien dans la guerre d'Algérie "** ، فعلا إلى مستوى الوثيقة التاريخية الملموسة التي تحمل في طياتها وعبر صفحاتها 290 شهادات حية وأحداث ووقائع يومية أسهم في كتابتها صحفيين فرنسيين آمنوا بقضية الشعب الجزائري وحقه في الحرية ، وهو الطرح الذي يؤكد يوما بعد يوم عدالة وشرعية الثورة الجزائرية التي يبقى مشروع جمع أرشيف أحداثها أسمى المهام .

ملاحق الدراسة:

الصورة رقم 01: الغلاف الخارجي لكتاب عينة الدراسة

الصورة رقم 02: جريدة لومانيتي بعد قرار الثالث أفريل 1955

الصورة رقم 03: مجازر فيليب فيل

قائمة المراجع:

http://echahedonline.com/ar/permalink/10817.html 10/12/ 2013heure: 1O:1O

http://www.djazairnews.info/cultu

http://www.histoire-immigration.fr/magazine/2012/9/l-humanite-censure-1954-1962-un-quotidien-dans-la-guerre-d-algerie 15/12/2013 heure: 15:30 rel/46-2009-03-26-18-34-49/43828--------1954-1962-.html. 12/12/2013 heure:14:55

http://www.decitre.fr/rechercher/result/?q=l%27humanit%C3%A9+censur%C3%A9&search-scope=0 12.12.20 heure13 :52

http://www.vitaminedz.com/Article/Articles_18300_1150353_0_1.html 12/12/2013 heure:16:15

http://www.ldh-toulon.net/spip.php?article4460 date 16/12/2013 heure17:00

http://www.ldh-toulon.net/spip.php?article5116 date 16/12/2013 heure17:05

http://www.ldh-toulon.net/spip.php?article4892 date 16/12/2013 heure17:08

L'humanité censuré http://evene.lefigaro.fr/livres/livre/collectif-l-humanite-censure-1107589.php date 16/12/2013 heure17:12

http://www.humanite.fr/guerre-d%E2%80%99algerie-1954-1962-huit-ans-de-saisies-de-censures-de-proces-492482 date 16/12/2013 heure17:20

http://www.humanite.fr/guerre-d%E2%80%99algerie-1954-1962-huit-ans-de-saisies-de-censures-de-proces-492482 date 16/12/2013 heure17:30